٥ـ في حالة التقرُّب إليه : تأمَّل هذا الصديق واختبره ببعضِ الأسئلة : هل يحاول التودُّدَ إليك وأن يكسب رضاك ؟ هل يُصغي إليك وأنت تتحدَّث ؟ هل يتمنَّى مجالستك ؟ هل يحفظ سيِّئاتك وينسى حسناتك ؟ هل ؟ وهل ؟ هذه أمور تكشف حقيقة صداقته لك .

٦ـ عند الحاجة : هناك أصدقاءٌ حين العطاء فقط ، وهناك أصدقاء عُند الأخذ ، وهؤلاء كثيرون ، وهؤلاء لا نسمِّيهم أصدقاء ، ولكن يُسمَّون أصدقاء المال الذي تحمله ، فإذا ذهب المال ذهبت صداقتهم ، ولم يعودوا يعرفونك أبداً ، وكم في المجتمع اليوم من هذه النماذج ، وقد صدق الشاعر :

إذا قَلَّ مالي فلا خِلٌّ يُصاحبُني ... وفي الزِّيادةِ كلُّ الناسِ خِلاَّني!
كمْ من عدوٍّ لأجلِ المالِ صادَقَني ... وكمْ صديقٍ لأجلِ المالِ عاداني!

* * *

إحراق علقمة!!

هذا الشاب (علقمة) كان على عهد رسول الله ﷺ ، مرض واشتدَّ به المرض ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فلم ينطق لسانه ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « هل له أبوان » ؟ فقيل : أمّا أبوه فقد مات ، وله أم كبيرة ، فأرسل إليها الرسول ﷺ فجاءت ، فسألها عن حال (علقمة) فقالت : كان يصلي كذا وكذا ، وكان يصوم كذا وكذا ، وكان يتصدَّق كذا وكذا ، فقال : « فما حالُكِ وحالُه » ؟ قالت : أنا ساخطة واجدة ، فقال المصطفى : « ولِمَ ذلك » ؟ قالت : كان يؤثر عليَّ امرأته ويُطيعها في الأشياء ، فقال : « سخطُ أمِّه حَجَبَ لسانَه عن شهادة أن لا إله إلا الله » ثم قال لبلال : « انطلقْ واجمعْ حَطَباً كثيراً حتَّى أحرقَهُ بالنَّار!! » قالت الأم :

يارسول الله ، ابني وثمرة فؤادي تحرقه بالنار بين يدي ، كيف يحتمل قلبي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « يسرُّكِ أن يغفرَ الله له فارضي عنه ، فوالذي نَفْسي بيده لا ينتفِعُ بصلاته ولا بصَدَقته ولا بصومِه ما دُمْتِ عليه ساخِطة » ، فرفعت يدها قائلةً : أُشهد الله تعالى في سمائه وأنت يارسول الله ، ومن حضر أني قد رضيتُ عنه ، فقال المصطفى عليه الصلاة والسلام : « يا بلالُ انطلقْ فانظرْ هل يستطيعُ علقمةُ أن يقولَ لا إله إلا الله ، فلعلَّ أمَّهُ قد تكلَّمت بما ليس في قلبِها حياءً من رسول الله » ، وانطلق بلال رضي الله عنه ، ولما وصل إلى الباب سمع علقمة يقول ويردِّد : لا إله إلا الله . . لا إله إلا الله . . .

ومات علقمة من يومه وغُسِّل وكُفِّن وصُلِّيَ عليه ، ثم قام رسول الله صلوات الله عليه على شفير القبر وقال : « يا معشرَ المهاجرينَ والأنصار ، مَنْ فضَّلَ زَوْجَهُ على أمّه فعليه لعنةُ الله ، ولا يُقبلُ منه صَرْفٌ[1] ولا عَدْلٌ »[2] .

* * *

من أخلاق المصطفى صلوات الله عليه :

في عهد رسول الله ﷺ تمَّ غزو قبيلة (طيء) ، فلما أتوا بالأسرى إليه ، قامت جاريةٌ من بين الأسرى وقالت :

« يا محمد! إن رأيتَ أن تُخلِّي سبيلي فلا تشمِّت به أحياء العرب ، فأرجو أن تفعل » ، ثم قدَّمت تسويغاً لطلبها هذا قائلةً :

---

(١) صرف ولا عدل : الفرائض والنوافل .

(٢) هذه الحادثة تُروى من باب الترغيب والترهيب ، وقد ذكرها أبو الليث السمرقندي وغيره على ما فيها من ضعف .